مفهوم (اللغة) في الاتصال

تعد اللغة أهم الاختراعات الاجتماعية التي تميز بها الإنسان ، عن الإحياء التي تقاسمه الوجود واللغات تنتشر وتنحصر ، فتعكس مظهراً حضارياً لأهلها ، وظهورها أكسب الاتصال أتساعاً وعمقاً كبيرين، وهي وسيلة أساسية أي (اللغة) في تطوير الفكر ونشأة الثقافة، بل وحفظ التراث، ومنها من حظي باستخدام مفرط، ومكانة أساسية بتبادل المعلومات والبرامج ، وطبقاً لبعض الدراسات، فأن عدد اللغات يتراوح مابين الفين وأربعة ألاف لغة، منها حوالي (٥٠٠) لغة لها حروف هجائية، بما ينتج لها تراث مكتوب وأدب يدرس[١].

يقررً الدارسون إن هناك خمسة عناصر أساسية يمكن اتخاذها معياراً لتصنيف البشرية الى أمم ولوضع الفوارق بين هذه الأمم وتعيين الخواص لكل منها، هذه العناصر هي، الجنس المشترك (أو الأصل) ، الدين والقومية، واللغة والثقافة اللتان لهما بوجه خاص دور بارز في التصنيف والتحديد إذ هما بمثابة المرآة العاكسة لكل أنواع النشاط الإنساني[٢] .

بين اللغة والثقافة علاقة وثيقة الجزء بالكل ، فاللغة أخص والثقافة اعم [٣] وأن الأصل في اللغة العربية أن تكون مسموعة ، أي أن أنساناً ينطقها فيسمعها إنسان آخر، ثم أصبحت هناك لغة مقروءة وأخرى مرئية ، واذا كانت الفنون قد توزعت بين سمعية كالموسيقى ومرئية كالصورة واللوحة فان اللغة احتفظت بالنوعين السمعي والبصري معاً [٤] .

ان وظيفة اللغة ، ليست مجرد الاشارة الرمزية للأشياء الموجودة بصورة مسبقة ، بل انها تسهم في امكانية وجود او ظهور الحالات أو الاشياء معاً [٥] ومن وجهة النظر المنهجية يقول سوسير (Soussure) ان في اللغة نظاماً من الاشارات تعبر عن الافكار ،

---

(1)www.Al-Mashcat .com.

(٢) كمال بشر : علم اللغة الاجتماعي (مدخل) .د ار غريب (القاهرة ، بلا) . ص ٢٣٥.

(٣) المصدر السابق نفسه ص٢٣٦ .

(٤) فلاح المحنة :البرامج الاذاعية والتلفزيونية ، جامعة بغداد (بيت الحكمة) (بغداد ، ١٩٨٨) ، ص٢٠٢ .

(٥) اينا دوزي : جدلية علم الاجتماع بين الرمز والاشارة ، ترجمة : د. قيس النوري ، مراجعة نوري جعفر ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد – ١٩٨٨) ، ص١١٥ .

وهو مماثل لنظام الكتابة ، غير انه أدخل الفرق بين اللغة كنظام ، وبين اللغة كما يتكلمها الناس (الكلام) ، فاللغة ، حقيقة اجتماعية تتأسس على الرابطة الاجتماعية[١].

ان البحث في تعريف اللغة ، والغنى الذي صاحبها ، أوجد صعوبة لدى الباحثين من علماء اللغة في الوقوف على تعريف واحد يتفقون عليه ، وهذا بطبعه يعود الى ارتباط اللغة وتقاطعها مع علوم اخرى متعددة ، مثل الفلسفة والاجتماع وعلم النفس والبيولوجيا ، كما يعود ايضاً الى تداخل اللغة بالاتصال وتوسع مفاهيمها مما يجعلها تتضمن معاني واسعة جداً تشمل كل انواع التعبير ، وأصناف الرموز بما فيها الاصوات المركبة والاشارات والصيغ المتلفظ بها أو المكتوبة [٢] .

ويذهب احمد مختار عمر الى ان اهم وظيفة للاتصال اللغوي (هي تلقي افكار الاخرين ومشاعرهم أو نقلها اليهم ، ولا تقف وسائل الاتصال اللغوي عند حدود الالفاظ والكلمات ، فهناك وسائل كثيرة غير لفظية يستخدمها الانسان ، أو تصدر عنه بهدف نقل المعلومات والافكار أو المشاعر أو بهدف المساعدة على نقلها من اعضائه مثل الرأس أو الوجه أو العين أو الكتف واليد ، مما يمكن ادراكه بحاسة البصر ، كما تشمل الامكانات الصوتية مثل علو الصوت ودرجته ، ومعدل سرعته ، وكميته ، وكيفيته ، مما يمكن ادراكه بحاسة السمع وتشمل بعض الانظمة غير المرئية أو المسموعة مثل اللمس والشم)[٣] .

وعندما ينظر الى اللغة في سياق اكبر ، يقال عادة انها خاصية علاماتية ، أي تتكون من نظام من العلامات ، ولذلك تعد اللغة في سياق السيميائية وعلم العلامات[٤] ولكون عملية الاتصال عملية معقدة جداً فمن الضروري ان يستطيع شركاء الاتصال ان يرجعوا الى مخزون مشترك من وسائل الاتصال ويمكنهم بواسطتها ان يتناقلوا الاخبار ، فاللغة أهم وسيلة للاتصال ، وتلعب دوراً مهماً عند الاتصال ، اذ يمكن للمرء ان يحدد

---

(١) المصدر السابق نفسه ، ص١٨٢ .

(٢) نسيم الخوري : الاعلام العربي وانهيار السلطة اللغوية ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت ، ٢٠٠٥) ، ص٨١ .

(٣) احمد مختار عمر : انا واللغة والمجتمع ، ط١ ، عالم الكتب ، (القاهرة ، ٢٠٠٢) ، ص١٢٩ .

(٤) كارل ديتربونتنج : المدخل الى علم اللغة ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، ط١ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، (القاهرة ، ٢٠٠٣) ، ص٣٣ .

التبعية الداخلية لافعال الاتصال وأفعال الكلام[١] والاشارات والصوت والرموز والنقوش والكلمات والتدوين والمسموع المرئي وصلة من الاتصال ، جعلت من الانسان كائناً تنوعت طرقه وأساليبه للاتصال .

ان اللغة كما يقول سابير (Edward Sapir) هي وسيلة اتصال انسانية لا تحريرية تنقل الافكار والانفعالات بواسطة نظام من الرموز المتعارف عليها ، فيما يضيف فيرديناند دو سوسير (Ferdinand De Saussure) ان اللغة كنظام دلالات مختلفة تعكس لنا الافكار المختلفة ، أما ميشيل فاوكولت (Michel Foucault) فيقول اننا تحت سيطرة اللغة وفي حوزتها[٢] .

وفي هذا المجال يتحدث بيسان (Eric Buyssens) عن لغات غير اللغة ، ويحاول تصنيف وسائل الاتصال تبعاً لمقاييس منها[٣] :

اولاً : الاشارات المنتظمة : وهي تحمل رسالة ثابتة ومنها اشارات المرور بدوائرها ومثلثاتها ومستطيلاتها .

ثانياً : الاشارات غير المنتظمة : ومنها الملصق الاعلاني الذي تمد لغته بالشكل واللون وغايته باستقطاب الانتباه .

ثالثاً : الاشارات الدالة : التي تزاوج بين الشكل والمضمون كالقبعة أو المظلة ، ترمز الى نوعية البضاعة والمتجر .

واذا كان الايصال غاية اللغة التي تجمع ، فان باسارون (Rene Passeron) يميز بين نوعين من الاتصال[٤] :

اولاً : الايصال اللغوي الارادي الواعي .

ثانياً : الايصال الفني ، الذي هو تعبير عن الذات .

واللغة هي وسيلة للاتصال وبدونها لا تتحقق عمليات الاتصال ، فلكل كلمة تقوم مقام رمز ، والكلمات اصلاً ليست رموزاً اصطلاحية مجردة ، انما هي بالتركيب اللغوي تهدف الى نقل المعنى ، ومدلولها الرمزي ، يتغير في سياق الكلام ، واللغة بشكل أدق هي

---

(١) المصدر السابق نفسه ، ص٥٣ .

(٢) أمينة غصن : عقلانية اللغة والايصال ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد ١٦ ، مركز الانماء القومي ، (بيروت ، ١٩٨١) ، ص٦٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص٦٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٦٥ .

مادة للتفكير ، وبالتالي مادة للتعبير ومادة للاتصال لا أداة وبذلك تكتسب قيمها الاجتماعية[١] .

يطلق لفظ اللغة (على تلك الاصوات التي ينجزها جهاز النطق في الانسان ، معبراً بها عما يحس به من حاجات يريد بيانها والايضاح عنها)[٢] .

ويفرق دو سوسير بين ثلاثة مفاهيم وضع لكل منها كلمة مستقلة ، تدل عليه في اطار هذا العلم على ان هناك كياناً عاماً يضم النشاط اللغوي الانساني في صورة ثقافة منطوقة أو مكتوبة معاصرة أو متوارثة ، وباختصار كل ما يمكن ان يدخل في نطاق النشاط اللغوي من رمز صوتي او كتابي أو اشارة أو اصطلاح فخص هذا النشاط بكلمة (langage) ، وأما ان تكون بصورة منظمة ذات قواعد وقوانين وذات وجود اجتماعي فيطلق عليها (langue) ويقابلها في العربية (اللسان) ، وأما ان تكون في صورة ممارسة فردية منطوقة على اية مستوى ويطلق عليها (parole) ، وهو بالعربية (الكلام)[٣] .

وتعد الكلمات ككل العلامات والرموز ، لها صورتان من الوجود ، وجود بالقوة ، ووجود بالفعل ، فكل كلمة تسمع او تنطق تترك في اثرها مجموعة من الانطباعات في ذهن كل من المتكلم والسامع لان الكلام على رؤية دو سوسير ما هو الا وجه من أوجه النشاط الانساني ، واللغة وعاء هذا النشاط وأدواته[٤] . والكلام اسبق من الكتابة ، والكلمة المنطوقة اسبق من الكلمة المكتوبة ، ودور اللغة في بث الافكار ونشرها وفي التأثير الادبي والثقافي والتربوي الذي تحدثه خارج فصول الدراسة يكاد يكون مقصوراً على الصورة الكتابية للغة ، غير ان اختراعين حديثين من التليفون في الاتصال الشخصي والمذياع بوصفه اداة للنشر والاعلام ووسيلة لترويج الادب قد أخذا يعملان على اعادة التوازن بين الكلمة المكتوبة والكلمة المنطوقة[٥] .

يقول العالم الانكليزي جيفونز (Gevonse) ان اللغة تخدم ثلاثة اغراض هي:-

---

(١) محمد جميل شلش : اللغة ووسائل الاعلام الجماهيري ، الموسوعة الصغيرة (٢٦٠) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٦) ، ص١٩ .

(٢) عبد الصبور شاهين : في علم اللغة العام ، ط٤ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٨٤) ، ص٢٢

(٣) المصدر السابق نفسه ، ص٢٩ .

(٤) ستيف أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة كمال بشر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، بلا ، (القاهرة ، بلا) ، ص٣٥ .

(٥) المصدر السابق نفسه ، ص٤٣ .

اولاً – وسيلة للاتصال

ثانيا – مساعد ميكانيكي للفكرة

ثالثاً – وسيلة للتسجيل والرجوع اليها[١]

ويذهب الهيتي الى ان الانسان تمكن من التعبير عن الافكار والاحاسيس والمشاعر عبر نظام رمزي ، وعبر ابنية لغوية ، مستعيناً بالرموز التي اصبحت وحدات اساسية لانظمة الاتصال ، منها ما هو لفظي مثل كلمات اللغة المنطوقة ، ومنها ما هو تمثيلي[٢] ومنها ما تعبر اللغة عن العالم وعن البيئة ، لذا فان الناس لا يعيشون في عالم الاشياء من حولهم ، بل في عالم الرموز الذي تعد اللغة جانباً اساسياً منه ، لذا فالإنسان هو في حقيقته يحيا داخل اشكال لغوية ، وصور فنية ورموز اسطورية [٣] .

ان وسائل الاتصال تنشر جواً لغوياً او رمزياً ، يؤثر في في مجمل الجوانب النفسية والاجتماعية وهي تزود الفرد بالعبارات المناسبة لمختلف اوجه التعامل الاجتماعي ، أي ان اللغة تتدخل في تحديد رؤية وشعور الانسان بذاته وادراكه للعوالم الفكرية والفلسفية والروحية ، فضلاً عن العالم المادي الطبيعي والصناعي الذي يحيا فيه ، ولاجل هذا يستعين الانسان باللغة في تحقيق وظائف اساسية يوردها الهيتي في الاتي[٤] :

اولاً : الوظيفة الاتصالية ، المتمثلة في تكوين اشكال لغوية تحمل معاني (افكار ومشاعر) يمكن تناقلها بين الاطراف بطرق مباشرة وغير مباشرة .

ثانياً : الوظيفة التجريدية ، المتمثلة في تجريد الواقع واختزاله وتحويله الى رموز مما يتيح للإنسان فهمه وطبعه بدرجة ما .

ثالثاً : الوظيفة التعبيرية ، المتمثلة في اثارة الانفعالات أو التعبير عن المشاعر او تحريك العوامل النفسية للآخرين .

رابعاً : الوظيفة التوجيهية المتمثلة في حفز الاخرين نحو ميل او اتجاه ، أو سلوك ما ، اعتماداً على استمالة عقلية أو عاطفية .

---

(١) تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ، ط٢ ، دار الثقافة ، (الدار البيضاء ، ١٩٧٤) ، ص٤١ .

(٢) هادي نعمان الهيتي : اللغة في عملية الاتصال الجماهيري ، دار السامر ، (بغداد ، ١٩٩٧) ، ص٨ .

(٣) هادي نعمان الهيتي : اشكالية المستقبل في الوعي العربي ، مصدر سبق ذكره ، ص١٩٧ .

(٤) المصدر السابق نفسه ، ص٢٠٠-٢٠١ .

خامساً : الوظيفة التعميمية المتمثلة في اعمام الى ما هو مماثل أو مشابه نسبة الى صفة او فصيلة او مجموعة أو جماعة .

وللغة مظاهر اساسية منها[١]

اولاً: ارتباط اللغة بالعمليات العقلية المعرفية ، كالتفكير والتخيل والتصور والتذكر ، واللغة تجسد الافكار في اوعية اتصالية ، ولذلك وصفت بانها مرآة العقل انما تعبر عن الانجازات الفكرية للناطقين بها .

ثانياً: ارتباط اللغة بشعور الافراد بالانتماء ، حيث تبدو اللغة قوة تقرب الانتماء ، وهي اساس اشتراك الافراد في الذكريات التاريخية والثقافية والاجتماعية .

ثالثاً: ارتباط اللغة بالتأثير المتبادل والتفاعل الاجتماعي ، فاللغة اساس تفاعل الافراد اجتماعياً أو اتصالياً من خلال تبادل التأثير ، او ما يسمى بالنقل الثقافي (culture transmission) اذ تنتقل اللغة من جيل الى اخر بالتعلم[٢] .

ويذهب الطويريقي (حينما يناقش طبيعة واستخدامات النظام اللغوي) الى ثلاثة مستويات[٣]

اولاً : العلاقات المنطقية الاساسية (Syntactics)

وهي الناحية ذات الاهتمام بالمنطق اللغوي ، الذي يحكم علاقة الاشارات والرموز اللغوية بعضها ببعض ، مثل قواعد بناء الجملة والعبارات ، وبشكل يتيح لمتحدثي اللغة ، الالتزام بنمط كوني عام عند استخدامهم للنظام اللغوي بما يمكنهم من فهم بعضهم البعض .

ثانياً : الناحية الخاصة بالمعاني (Semantics)

أي المجال الذي يدرس علاقة الاشارات والدوال اللغوية الاشياء التي تصفها ، أو تحاول الاشارة اليها في العالم ، وهذا يعني التعريفات الاجرائية (دلالات الالفاظ) المستخدمة في اللغة المتداولة بين الافراد ، فتحديد معاني الكلمات يعني الاتفاق الجمعي ، حيال ما ترمي اليه الرموز بين افراد المجتمع وبشكل يسهل عملية الاتصال بينهم .

---

(١) هادي الهيتي : اشكالية المستقبل في الوعي العربي ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٠٢ .

(٢) محمد محمد يونس علي : مدخل الى اللسانيات ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، (طرابلس ، ٢٠٠٤) ، ص٣٥ .

(٣) عبد الله الطويريقي : علم الاتصال المعاصر ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٠ .

ثالثاً : المستوى الاجرائي السلوكي (Pragmatics)

وهذا المجال يختص برصد العلاقات التي تربط الدوال ومستخدمي هذه الدوال ، أي الاثر الذي تحدثه هذه الاشارات اللغوية في ذهنية وسلوك الافراد ، فالاثر النهائي للرسالة اللغوية المنطقية والمحملة بالمعاني غالباً ما يؤدي الى احداث ، وفعل سلوكي لدى المتلقي ، ففي الاتصال ندرك حقيقة الاثر الاقناعي أو الدعائي للرسالة الاتصالية ، على المتلقي برصد السلوك الناتج عنها سواء كان عاجلاً أو آجلاً ، وفي حقل الاتصال دائماً ما نهتم بالناحية الاجرائية للسلوك الجماهيري او الفرد المتولد عن دينامية التفاعل اللغوي في المجتمع ، وقد يكون من المناسب القول في هذا السياق إن دراسة نواحي المنطق اللغوي ودلالات الالفاظ ، تعتبر من اهتمامات علماء اللغة ، فالاتصال يعد بمثابة اللعبة التي ينخرط فيها كل من المتحدث والمستمع ، المرسل والمتلقي ، بهدف التغلب على نواحي الغموض واللامعنى[١] .

ان اللغة كنظام رمزي قادر على احتضان العبارات والكلمات المستحدثة ، نتيجة لحاجة الافراد ، وما يستجد في عالمهم من احداث ومبتكرات تقتضي التوصيف والترميز اللغوي ، واللغة كنظام اتصالي ، يتسم بالتخصصية الاتصالية ، تقصر على اداء وظيفة واحدة هي الاتصال الانساني[٢] . والاتصال هو نقل للافكار كما يذكر الهيتي ، ويضيف (انه لا يمكن لاي فكرة ان تنتقل من هنا الى هناك الا من خلاله ، فان الرموز التي يتم ذلك النقل عن طريقها تشكل جوهر الاتصال وهذه الرموز تتخذ صوراً شتى ، فقد تكون الفاظاً أو صوراً أو خطوطاً أو أصواتاً أو اشارات أو حركات ، لكن الالفاظ تحتل الموقع الاول بين هذه الرموز جميعاً حيث ان الغرض الاجتماعي للغة هو الاتصال)[٣]

---

(١) عبد الله الطويريقي : علم الاتصال المعاصر ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٢ .

(٢) المصدر السابق نفسه ، ص٦٣ .

(٣) هادي نعمان الهيتي : صحافة الاطفال في العراق ، نشأتها وتطورها مع تحليل لمحتواها ، ط٢ سلسلة دراسات ، قسم البحوث والنشر في دار ثقافة الاطفال ، مطبعة سومر ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، ص١١٦ .